

أربنا والمسألة الفلسطينية

بقلم محمد الجزائري

الخاصية الثالثة: ادب التجربة النضالية .. الذي يستخلص نتائج المعركة ويحلل عوامل ضعفها او قوتها لاستخلاص تجربة العمل المستقبلية .

ولما كنا قد خضنا المعركة عام ٤٨ ، وواجهنا العدوان الثلاثي الاول عام ٥٦ ، فاننا للأسف لم نستفد منهما معركة ٦٧ .. وفي مثل هذه الحالة ، فالخصائص الثلاث تتداخل زمنياً في اطار شروط نموها وفعاليتها ، وتمنحنا (او هكذا تقتضي فرضية استمرارها) ثروة تجريبية كاملة لاستيعاب ابعاد المعركة واسبابها ونتائجها .. ثم تمنحنا الشريحة التجريبية التي تقدمها لنا امكانية تحديد دورنا الجديد المعاصر في المعركة .

فهل كان الادب بمستوى المعركة ؟

الحق ان الادب قد تخلف عن المعركة ولم يحقق انجازه التام والمتطور في تعريف المسألة الفلسطينية لانه لسبب جوهرى لم يتميز بالثورية - المطالبة - والنامة .. وهذا نتيجة منطقية لطبيعة الظروف التي مر بها ..

فالواقع السياسي المضطرب الذي عاشه الادباء من خلال التناقضات العدائية وغير العدائية التي مرت بالبلدان العربية ، انعكست في واقع الادباء النفسي والفكري وخلق ردود فعل عنيفة ، عند بعضهم .. ضد بعضهم او ضد حكوماتهم .. وهذه السلبات بمجملها اثرت في ارضية المعركة ، قبل التحامها عسكريا ...

وعموماً - فباستثناء ادب المقاومة في الارض المحتلة الذي تميز بأنه ادب يساري والذي ادت الظروف اليومية الى جعله يعمق موقف المقاومة ويرفع من مستوى العاطفة المشتعلة العمياء الى مستوى العاطفة الواعية الثابتة الجذور (١) - فان نتاج الادباء العرب لم يحتضن المسألة الفلسطينية احتضاناً كاملاً ، وثوريا .

ان ادب المنفى (بالنسبة للفلسطينيين قسماً الدول العربية) كان بكائياً ، وغرق في دائرة النواح كقصائد فدوى طوقان - مثلاً - . ولولا قصائد معين بسيسو - لا يمكن تعميم هذه الظاهرة .. ومن هنا ، فقد كان شعر المقاومة - بشكل خاص - هو الذي تميز اكثر من غيره « بالاشراق الدائم والامل الذي يستثير الاعجاب » .. « لان الشعر العربي في الارض المحتلة تميز بسرعة مذهلة وبتكيف كامل مع الاحداث السياسية العربية ، ويعتبرها اكمالاً لموضوعه ، وجزءاً من مهماته » (٢) .

ومع ان « شعر المقاومة » حارب على جبهتين:جبهة

في التركيب الثوري لبناء كيان اية معركة يسهم الادب الثوري في عملية استكشاف الابعاد الاستراتيجية والتكتيكية ، وخلق جبهة التعبئة والتوعية ، والمساهمة في تشخيص الرادع الثوري كبديل مضاد للعدوان، لكون الادب جزءاً من البناء الفوقي للمجتمع ، وهو ينعكس من الواقع الموضوعي ليجد صيغته المعبرة عن هدية المعركة ، انسانيته ، وشروط حياتها .. وهو يضع انسانيته ، كأدب ثوري ، مع شرط حياته لمواجهة كسل التعاملات الاستعمارية والصهيونية والرجعية ، ومجمل التعاملات البورجوازية « الجزرية » وتخطي ابعاد النكسة ، لكيما يشرق في المعركة كوجه من وجوهها الفعالة ، وكنعير حتمي عن وجودها ومحتواها ، وكصيغة تتساق في تصعيد زخمي ناضج مع ملامحها وخطاها ، وتحركها ...

ولذلك فهو يحمل - في صلبه - جزءاً من المعرفة ، ويقف امامها ، بوصفه كائناً انسانياً ، ليستكمل شروط حياته من خلال مؤثرات المجتمع والتحامها الفعلي والفعال مع ذاتية الاديب والفنان ، وتركيبه السيكولوجي ، والتراثي .. لكيما يحمل - ضمن غناه وجزالته - معنى وجوده ، كآثر فني فعال .. ومحرك ، وعامل على التغيير ... وهو لهذا يكتسب وظيفته الاجتماعية والانسانية ، قبل المعركة ، وابانها ، وبعدها .. فهو يسهم مع الفكر الثوري - من خلال حسه الانساني ورهفته وتأثيره بالاحداث - لخلق الرؤية الثورية السليمة لتحليل الاحداث ورسم التاكتيكات المنسجمة مع الاستراتيجية الثورية للمعركة .. لان كل معركة - تنبع من تضاد في الوقائع والاحداث - تخلق فكرها الذي ينظم خطوطها العامة .. وهي بالتحتم ، نتيجة طبيعية ومنطقية لصراعات وتناقضات عدائية تتصالب ابان استكمال شروطها الموضوعية والذاتية، لدرجة الانتقاد ، ثم الانفجار الحتمي ، في محاولتها لتغيير سحنة الواقع او جوهره .

وانطلاقاً مما تقدم ، فان وظيفة الادب والفكر الثوريين ، وظيفة متلاحمة وهي ذات علاقة اصيلة ، ومرتبطة بالثورة ..

لذا يتحدد دور الادب في المعركة بثلاث خصائص ثابتة :

الخاصية الاولى: ادب التعبئة والتوعية ، وهو يسبق اندلاع الالتحام العسكري .

الخاصية الثانية: ادب المقاومة .. وهو يسهم في مرحلة الاحتلال اثناء المعركة .

التوعية والتعبئة ، وجبهة الرد - عامدا او غير عامد - على الادب الصهيوني ، وصحيح انه « اتبت قدرته على الجبهتين » « ذلك لانه بالاضافة للقضية الكبيرة التي كان يعيها ويتصدى لها ينطلق من ايمان عميق بالتزام ذاتي لا يتزعزع ويعي تماما ما قيمة التزامه ومهمة ذلك الالتزام الحيائي » (٣) .. لكنه لم يستطع تخطي ارض المعركة لتعريف نفسه للعالم ، الا من خلال جريدة «الاتحاد» التي هيمن عليها الشيوعيون العرب المنشقون عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، والذين فتحوا اعمدة الجريدة للاقلام الفلسطينية المناضلة كتوفيق زياد وسميح القاسم ومحمود درويش وغيرهم .. وصحيح ان «جبهة الارض» العربية التي قادها بعض الاعضاء البارزين الذين انشقوا عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي - ايضا - كحبيب جهوجي ورفاقه الثلاثة الاخرين ، الذين اصدروا ثلاثة عشر عددا من نشرتهم « الارض » منذ عام ١٩٥٩ باسماء مختلفة (شذى الارض ، صرخة الارض ، دم الارض ، روح الارض .. الخ.) والتي ما لبثت ان منعت بعد ان اسهمت في نشر هذه النتاجات النضالية في البلدان الاشتراكية خاصة ، فاننا نحن العرب لم نتعرف عليها من خلال اجهزة الاعلام العربية .. بل من خلال الجهد الطيب الذي بذله الاستاذ غسان كنفاني والمبادرة الطيبة التي قامت بها دار الاداب في طبع ونشر كتابه « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » .. ومع ان النشر جاء بعد سنوات عديدة من نشر الادب الصهيوني وتوسيع ترجمته على الصعيد العالمي ، فيكفينا ان شعراء وادباء المقاومة الفلسطينيين ، وضعوا حياتهم فوق اكفهم وهم يناضلون - في داخل ارضهم - وبمواجهة صريحة للعدو .. فلقد برروا وجودهم اروع تبرير ..

ان ادب فلسطين المحتلة يمثل وثيقة ادانة لكل البلدان العربية التي لم تسهم في تعريف هذا الادب ، وباساس من تعريف المسألة الفلسطينية بشكل جاد ، وعلمي .. والسعي لتجميع كل القوى الخيرة ، المؤمنة بالثورة طريق النصر ، وطريق كسب المعركة في فلسطين وغيرها .. والانطلاق بها ، والاعتماد عليها ، لتجسيد قيم شعبنا وتطلعاته ، وتحويلها الى واقع عملي رصين يدفع بالثورة الى امام .. ويسهم في بلورة امكانيات استرجاع كامل حقوقنا المكتسبة ، بالمواجهة الفعالة ، والمباشرة - كما حدث بالنسبة لادباء الارض المحتلة - للاستعمار والصهيونية والرجعية .. وان لنا دروسا عديدة نستمد منها من تحارب الشعوب القليلة العدد ، والامكانيات في المقاومة الصلبة والعنيدة لاشكال الاحتلال ، والحصار ، والضغط السياسي والاقتصادية ، والعسكرية ..

ان ادب فلسطين المحتلة يمثل وثيقة ادانة لكل البلدان العربية التي لم تسهم في تعريف هذا الادب ، وباساس من تعريف المسألة الفلسطينية بشكل جاد ، وعلمي .. والسعي لتجميع كل القوى الخيرة ، المؤمنة بالثورة طريق النصر ، وطريق كسب المعركة في فلسطين وغيرها .. والانطلاق بها ، والاعتماد عليها ، لتجسيد قيم شعبنا وتطلعاته ، وتحويلها الى واقع عملي رصين يدفع بالثورة الى امام .. ويسهم في بلورة امكانيات استرجاع كامل حقوقنا المكتسبة ، بالمواجهة الفعالة ، والمباشرة - كما حدث بالنسبة لادباء الارض المحتلة - للاستعمار والصهيونية والرجعية .. وان لنا دروسا عديدة نستمد منها من تحارب الشعوب القليلة العدد ، والامكانيات في المقاومة الصلبة والعنيدة لاشكال الاحتلال ، والحصار ، والضغط السياسي والاقتصادية ، والعسكرية ..

ان ادب فلسطين المحتلة يمثل وثيقة ادانة لكل البلدان العربية التي لم تسهم في تعريف هذا الادب ، وباساس من تعريف المسألة الفلسطينية بشكل جاد ، وعلمي .. والسعي لتجميع كل القوى الخيرة ، المؤمنة بالثورة طريق النصر ، وطريق كسب المعركة في فلسطين وغيرها .. والانطلاق بها ، والاعتماد عليها ، لتجسيد قيم شعبنا وتطلعاته ، وتحويلها الى واقع عملي رصين يدفع بالثورة الى امام .. ويسهم في بلورة امكانيات استرجاع كامل حقوقنا المكتسبة ، بالمواجهة الفعالة ، والمباشرة - كما حدث بالنسبة لادباء الارض المحتلة - للاستعمار والصهيونية والرجعية .. وان لنا دروسا عديدة نستمد منها من تحارب الشعوب القليلة العدد ، والامكانيات في المقاومة الصلبة والعنيدة لاشكال الاحتلال ، والحصار ، والضغط السياسي والاقتصادية ، والعسكرية ..

ان ادب فلسطين المحتلة يمثل وثيقة ادانة لكل البلدان العربية التي لم تسهم في تعريف هذا الادب ، وباساس من تعريف المسألة الفلسطينية بشكل جاد ، وعلمي .. والسعي لتجميع كل القوى الخيرة ، المؤمنة بالثورة طريق النصر ، وطريق كسب المعركة في فلسطين وغيرها .. والانطلاق بها ، والاعتماد عليها ، لتجسيد قيم شعبنا وتطلعاته ، وتحويلها الى واقع عملي رصين يدفع بالثورة الى امام .. ويسهم في بلورة امكانيات استرجاع كامل حقوقنا المكتسبة ، بالمواجهة الفعالة ، والمباشرة - كما حدث بالنسبة لادباء الارض المحتلة - للاستعمار والصهيونية والرجعية .. وان لنا دروسا عديدة نستمد منها من تحارب الشعوب القليلة العدد ، والامكانيات في المقاومة الصلبة والعنيدة لاشكال الاحتلال ، والحصار ، والضغط السياسي والاقتصادية ، والعسكرية ..

ان ادب فلسطين المحتلة يمثل وثيقة ادانة لكل البلدان العربية التي لم تسهم في تعريف هذا الادب ، وباساس من تعريف المسألة الفلسطينية بشكل جاد ، وعلمي .. والسعي لتجميع كل القوى الخيرة ، المؤمنة بالثورة طريق النصر ، وطريق كسب المعركة في فلسطين وغيرها .. والانطلاق بها ، والاعتماد عليها ، لتجسيد قيم شعبنا وتطلعاته ، وتحويلها الى واقع عملي رصين يدفع بالثورة الى امام .. ويسهم في بلورة امكانيات استرجاع كامل حقوقنا المكتسبة ، بالمواجهة الفعالة ، والمباشرة - كما حدث بالنسبة لادباء الارض المحتلة - للاستعمار والصهيونية والرجعية .. وان لنا دروسا عديدة نستمد منها من تحارب الشعوب القليلة العدد ، والامكانيات في المقاومة الصلبة والعنيدة لاشكال الاحتلال ، والحصار ، والضغط السياسي والاقتصادية ، والعسكرية ..

لكن السؤال يطرح نفسه بهذه الصيغة : **ماذا فعل الابداء العرب - خارج الارض المحتلة - ؟** نعود ، اذن ، الى البدء ، - قبل استطرادنا الذي جاء عن شعر وادب المقاومة - فنقول ان السبب الاساسي ، والمباشر لتخلف الادب عن معركة فلسطين ، هو واقع التجزئة الفكرية الناجمة عن التمزق في وحدة البلدان العربية من جهة ، واختلاف اساليب اجهزة الحكم - التي ساهم اغلبها في قمع حركات التحرر والجبهات المعادية للاستعمار والفكر التقدمي ، والادباء الاحرار ، عموماً - وسد الطريق امامهم للتعبير بحرية عن تطلعاتهم الخيرة .. من خلال تنظيماتهم السياسية والادبية .

الى جانب التفاوت في التركيب الطبقي لبثية المجتمع العربي من بلد لآخر ، نتيجة واقع التقسيم الاستعماري ، والسيطرة الاستعمارية عبر السنين ، ونتيجة عدم وضوح الرؤية الثورية حتى عند بعض قادة البلدان المتحررة ، وبقاء العديد من شوائب الماضي والترسبات الفكرية الى جانب الانفتاح على الافق الاشتراكي .. ثم نتيجة نشاط الاستعمار ووكلاء المخابرات المركزية الاميركية ، والانكليزية ، والالمانية الغربية ، والاجهزة اليمينية ، والعقليات الشوفينية ، وعقليات القرون الوسطى - .. وهذا الواقع غير متجانس ، سياسيا واقتصاديا ، واجتماعيا يخلق واقعا غير متجانس ، فكريا ، وثقافيا .. وهذا ما يلمسه كل المثقفين العرب ويدركه ابعد الناس ..

لذا فالادب بحكم هذا الواقع الممزق لم يستطع ان يحقق رسالته كاملة عن المسألة الفلسطينية ، لان الادب الثوري ، لارتباطه المباشر بمصالح الجماهير الكادحة ، اليومية ، كان يناضل على اكثر من جبهة .. ومن هنا ، نشأ ، في النتاجات التي قدمها الابداء العرب عن المسألة الفلسطينية ، اكثر من تناقض ، واكثر من خلاف .. ثم الافتقار الى اصالة التجربة وصدق التفاعل .. بعكس ما تميزت به اثار ادباء الارض المحتلة ، رغم قلتها ..

لذا لم ينبع الادب الثوري من وحدة نضالية ، تدفع بمعركة فلسطين الى الامام .. وبالتالي فان الادب فقد وظيفة اساسية من وظائفه على صعيد المسألة الفلسطينية ، في عدم استكمالها لشرطه الثوري من اجل كسب رأي عام عالمي متفاعل ، لا مع النكبة من خلال صوت الفجيعة ، بل مع الارض الثورية للمعركة ، ومواقفنا الهجومية والدفاعية في النضال لاسترجاع الارض المكتسبة وعودة اللاجئين ، واجتثاث الورم الخبيث (اسرائيل) من جسد الامة العربية ..

فهل استنفد الابداء كل امكانياتهم في المعركة ، وما هي طبيعة المعركة ؟

ان المعركة ذات طبيعة ازدواجية ، فهي من ناحية : معركة مواجهة من الخارج .. وهي من ناحية اخرى معركة مواجهة من الداخل .. فالمعركة ليست مبع

الصهيونية وحدها ، ولا الاستعمار وحده .. بل هي ،
ايضا ، معركة ضد كل اجهزة الحكم اليمينية والعميلة
والخاضعة مباشرة للاستعمار .. وكل الاجهزة الفكرية ،
والسياسية ، والاقتصادية ، التي تخدم - بالنوعية -
المصالح الامبريالية في البلدان العربية .. هذه الاجهزة
والقواعد التي تنطلق منها مصالح العدو ، لتضربنا في
الصميم .. والتي تنطلق منها تجمعات العدو والقوى
المعادية للثورة ، لخلق الثورة المضادة ، مستهدفة بذلك
الاطاحة بالنظم التقدمية ، وبالكاسب الثورية التي احزنتها
حركة التحرر العربية الطاقرة خلال تضحيات الشعوب
العربية ، في مسيرتها الوعرة .. من اجل استكمال
تحررها الاقتصادي والسياسي الناجز .. ومن ثم فهي
معركة ضد كل المحاولات التي ترمي الى تصفية القوى
الثورية والتقدمية ، والتي ترمي الى خلسق البديل
الاستعماري - الرجعي ، الذي يتجه بالوطن العربي الى
هاوية الدمار والتخلف والسير في ركاب الاستعمار ..
وبالتالي فهي معركة ضد كل الفصائل الخيانية والطابور
الخامس التي اسهمت وتسهم في خلق اجهيزات ثورية
هنا ، وهناك ..

لذا فالعدوان الجديد استهدف اكثر من موقع ، من
خلال قوى الثورة المضادة في داخل البلدان العربية
التحررة ، ايضا .. واستهدف تطويق القيادات التقدمية
وعزلها عن الجماهير صاحبة الحق والمصلحة بالثورة
والاشتراكية ..

ان حجب التنظيمات الشعبية ، وعزل القيادات
الثورية عن الالتحام الحقيقي بالجماهير الواسعة يعني
حجب شروط حياة هذه القيادات ، والحد من حركتها
لتطوير نفسها من خلال النضال ، لصالح مصلحة
الجماهير ، والاشتراكية ، ويعني كذلك ، اجهاض وجودها
الثوري ، وفكرها التقدمي ، وانتزاع سلاح المبادرة من
ايديها لاي عمل ثوري يحقق انجازات جديدة لصالح
التقدم ..

ومن ثم ، كان العدوان يستهدف ايضا ، خلق موقع
مفاد لحركة التحرر الوطني في اسيا وافريقيا ومحاولة
كسب موقع اعتدائي جديد لتحويل الجهود الخيرة ،
والرأي العام العالمي عن جرب الفيتنام وقضايا التمييز
العنصري ، وحروب الردة في افريقيا ، وبالتالي ، اضعاف
جبهة الشعوب المناضلة في اسيا وافريقيا واميركا
اللاتينية ضد العدو المشترك : الاستعمار والصهيونية
والرجعية ..

واستهدف العدوان الجديد ، ايضا ، خلق ثغرة
كبيرة بين القوى الثورية في البلدان العربية وبين الدول
الاشتراكية الصديقة ، وبالتالي الى تحطيم السند المادي
والمعنوي الذي ترتكز عليه حركة التحرر العربية ، في
مسيرتها المناهضة للامبريالية ..
اذن ، فلم تكن فلسطين وحدها هي ارض معركتنا ..

ولكنها النقطة التي استقطبت ابعاد المعركة ، فاصبحت
محور العمل الجدي ، والمحك الذي يكشف الطبيعة
الحقيقية للدول العربية والقوى والفئات السياسية ،
والثورية ، في الوطن العربي .. والتي وضعنا ، امام
مواجهة حقيقية وواقعية لامكانياتنا ، وقدراتنا ، وتضامننا
الكفاحي ، امام الاعداء والاصدقاء .. وجها لوجه .. في
الداخل ، والخارج ..

من هنا يتجسد دور الادب والاديب في ضرورة
امتلاك ارادته الخاصة التي يجب ان تخضع خصائصه
الانسانية في عملية الاندماج التام ، والواعي بجماعية
المعركة ..

فهل التحم الادب الثوري واجهزة الاعلام في خط **واحد لمواجهة العدو ؟**

بالاساس ، نود ان نشير الى ان اجهزة الاعلام
اسهمت ، للأسف الشديد ، في تمييع المسألة الفلسطينية
من خلال الضجيج والمعارك الجانبية التي خاضتها ضد
نفسها وضد بعضها البعض ! لذا فقد ظل فهم المسألة
الفلسطينية ، فهما مضببا لدى اكثر ابناء جيلنا ، مثقفين
وقراء ، وجماهير واسعة ..

فاجهزة الاعلام اسهمت في تمييع الروح الثورية
بسبب افتقارها الكادر الثوري اولا ، والتمكن من الناحية
الثقافية والفنية والنفسية .. ثانيا .. وبالاساس فان
اغلب ملاكات اجهزة الاعلام ، ضعيفة وهزيلة ان لم يكن
مشكوكا في اخلاص ووطنية اغلب العاملين فيها ! لذا فهي
لم تمتلك - يوما - الرصد التاريخي - علميا ونفسيا -
للاعمال وتحركات العدو .. والرد عليها بالمنطق العلمي
المقنع .. اذ هي لا تني تكرس « كبل » طاقتها كأوراق
مديح او ذم لهذا الشخص او ذاك ، حتى باتت اجهزة
تأليه للشخصية الفردية ، اكثر من كونها اجهزة اعلام يجب
ان تخدم وتوجه الجماهير الواسعة .. وتسهم في زجها
بمعركة الشرف .. ولكن اجهزة الاعلام استقطبت المعارك
الداخلية ، وتجاهلت معركتنا مع الاستعمار والصهيونية
والرجعية .. لذا فقد وضعت ، ومن ورائها اجهزة الحكم ،
التناقضات الرئيسية مع العدو ، في المكان الثاني ..
وكرس اغلبها كل طاقاته لمعاداة القوى التقدمية والثورية ،
مع ان بعض هذا البعض - كان يضع الاشتراكية ،
والتقدمية ، وكل المسميات المحببة للشعب في صلب
برامجه وشعاراته .. اذن .. فكيف يمكن لاجهزة حكم ،
 واجهزة اعلام تعادي الديمقراطية والحرية والاشتراكية ،
ان تعادي الاستعمار والصهيونية والرجعية .. بصدق
وجدارة !!

ان قوى اليمين التي تحارب الفكر التقدمي وتحجب
الحريات الديمقراطية والعامية ، وتقف بوجه كل الطاقات
الخيرة ، والاقلام والنتاجات التقدمية ، والعمل الثوري
المنظم ، بالفسف والتشريعات المحجفة ، وتستخدم كل
اجهزتها القمعية في ذلك ، لتلتقي في اكثر من نقطة ،

ثانياً : تخطي أبعاد التنكس ومواقع رد الفعل السني
مواقع المبادرة والمباداة الثورية .

ثالثاً : الاسترشاد بالنظرية العلمية التي تعتمد
التحرر اناجز اقتصاديا وسياسيا واسير في طريق بناء
الاستراتيجية .. والتخلي عن كافة الشوائب الفكرية
البورجوازية والعنفات الشوفينية والاقليمية ، وعدم
الاستئثار بالحكم وفسح المجال الديمقراطي لكل القوى
الوطنية والثورية للاسهام بدورها في المعركة ..

رابعا : ايجاد حط تنظيمي - داخل كل بلد عربي -
مرتبط بفصائل النضال الباسلة لتعبئة الجماهير للمعركة
على اساس اتجاهات وطنية المعادية للاستعمار والصهيونية
والرجعية وعلى اساس حكومات ائتلاف وطني دفاعية ..
تكون جديرة بقيادة المعركة .. وكسبها ..

فالاتجاهات الوطنية (كما حدث الان بالضفة الغربية)
هي السبيل الامثل لتنسيق كل الجهود الوطنية، والانطلاق
بنهج ديمقراطي سليم ، من اجل الوحدة العربية ، الشعبية
.. وذلك بتحشيد وتآلف كل القوى الوطنية ، وزجها
في معركة الشرف ..

وامام هذا التحديد المعركي لمواجهة عوامل التخلف
والضعف والعدوان .. تنشأ مهمة الادباء في تعريف هذه
الوسائل والاستقطاب حولها .. والعمل ضمنها لتحقيق
اهداف المرحلة ..

والخلاصة ، ان المعركة تتطلب وحدة عمل ثوري
ووحدة فكر ثوري .. فمعركتنا ليست معركة الفاظ
مجلجلة ، لان قنابل النابالم وبشاعة الهجوم القادر لا يمكن
ايقافها بالاناشيد الحماسية ولا بالخطب الرنانة .. ولا
بالقصائد مهما اتت من قوة في مضامينها واشكالها
الفنية .. فالوسائل العلمية التي استعملت في العدوان
دفعت الادب للمؤخرة ، وبات امام ضرورة دحض
الافتراءات وسيلة واحدة ، هي لغة الارقام والحقائق
العلمية ..

ان المسألة الفلسطينية ، هي بوضوح مسألة ثورية
.. وتناولها يجب ان يتم ويتميز بالثورية .. والادب
ينعكس بفعالية خاصة مؤثرة في مجمل العلاقات الانتاجية
والعلاقات المجتمعية ، بين الافراد ، من ثم بين انصار
القضية واعادتها .. لذا فانه من الخطأ الاعتقاد بان
هناك صيغة جامدة « للنوع » الادبي المبرر عن المعركة ..
تكتسب مكانة الحقيقة المقطوع بها لمجرد انها تتكرر مرة
بعد المرة ..

ان ثمة امكانية لانبثاق الكتابة من خلل كل الحركات
الفنية ، شريطة ان تربط مصيرها بالحياة والمعركة ،
وقضية الانسان .. وتتخطى حدودها التقنية ، لتندمج
بعلاقة كبرى .. هي العلاقة المتبادلة بين الواقع ، وحركة
التاريخ .. والانسان ..

فمن هنا ، يمكن ان يحقق الادب وجوده في المعركة
.. فالعطاء الانساني يستطيع ان يوجد تلاحما في المناهج

وأكثر من موقع ، - شئت ام ابت - مع الاستعمار ،
تصاب بالتالي بعزلة محكمة عن الجماهير الواسعة وهذا
يسهل ضربها لايجاد بديل اخر اكثر سوداوية ، لكنه اقل
مكشوفية ووضوحا ، في سلوكه المعادي للشعب ، ليخرج
بشعارات براقة تضليلية لفرض امتصاص غضب الجماهير
وسخطها المتعاطم ولاجهاض روحها الثورية ..

ومع ذلك ، فلقد عاش الادباء التقدميون، في البلدان
العربية ، معركة المصير والشرف ضد كل مظاهر الصف
والبيروقراطية ، والديكتاتوريات العسكرية ، والانقلابات
الفاشية ، وضد كل مظاهر الكبت والقهر ، والتحموا
بوعي تام ، وباسهام تام ، مع معركة التحرر الوطني
والنضالات التي تستهدف استكمال تحررنا الاقتصادي
والسياسي ، والسير في طريق الاشتراكية .. ولم ينهم
عن ذلك كل التعاملات القسرية ، والمحاربة الاقتصادية
والسياسية والفكرية والمعيشية ..

وابتلاقا من هذا الواقع المشحون بالتناقضات واجه
الادب الثوري اكثر من عقبه للتعبير بوضوح عن التطلعات
الخيرة لجماهير شعبنا ، ووضع اليد على مواطن الضعف
والتعفن في الاجهزة والشرائح المجتمعية والتشريعية
والتنفيذية .. لذا فقد عاش اصطدامات متكررة ومعوقة
في محاولته للاسهام بخلق البديل الثوري المتمكن من
المواجهة الحقيقية للاستعمار والصهيونية والرجعية ..

لذا فالواجهة الحقيقية تنبع - داخليا - من ضرورة
تخطيم وهدم هذا الجدار الهائل الكبير الذي يحول دون
الانطلاق الثوري باوسع افاقه .. واقتلاع ركائز الاستعمار
من الاجهزة اليمينية الى دور النشر المشبوهة ، السى
الجمعيات والاندية والمدارس والكليات والجامعات الالهية،
الى الجمعيات التبشيرية ، وجمعيات اصدقاء الشرق ،
وغيرها .. من منظمات واجهزة المخابرات الاستعمارية.
والتي تغلفت في اوساط عدة ، وخلق الطابور الخامس ،
من بني الوطن .. لهدم بنيات العمل الثوري من الداخل
.. وكسب المعركة - في صالح العدو - من خلال محاولات
الهدم والتخريب الفكري والعملي ..

ان سبب خسارتنا في حرب ١٩٤٨ لم تكن الاسلحة
الفاسدة وحدها - كما كنا نلقن في المدارس - بل واجهزة
الحكم الفاسدة والعميلة .. وجيش العدو ، الداخلي ..
واليوم ، فليست الخسارة الجديدة بسبب مبادرة العدو
بالعدوان ، والغطاء الجوي الكثيف ، والاسناد الاستعماري
التام لاسرائيل .. وحسب .. بل وبسبب المواقع الخيانية
التي امتلكها العدو ، في داخل اجهزتنا ، وشعبونا ..
والتي مثلت اكثر من حصان طروادة في العصر الحديث!!
واذن .. فما هي المهمة الاساسية التي تواجه ادباء
اليوم والقوى الثورية - عموما - ؟

ان هذه المهمة الاساسية تتلخص في ما يلي :
اولا : ايجاد وحدة تكتيكية موقوتة ، ومبرمجة ،
للدفاع والهجوم فكريا ، وعسكريا ، واقتصاديا ..

تبدو مسألة التنظير الأيديولوجي سقوطاً في التجريد . .
 إذ لا يمكن استكمال هذا البعد البطولي فسي عمل أدبي
 طويل النفس كالرواية - إلا ما ندر - وسنشير إلى ذلك -
 أو كتاب نظري في النقد . . إذ إن التجربة تتحول سريعاً
 إلى عالم القصيدة . . إذ هي اللون الأكثر ملاءمة ، والأسرع
 تجاوباً ، وانعكاساً ، والأكثر التصاقاً بالحدث اليومي
 المعركي . . فاستعار المعركة ، واستقطاب كسل مكونات
 مشاعر الإنسان في لحظة الترقب للحدث الحاسم ، أو
 الاندماج الفعلي في المقاومة وحمل السلاح والقتال وجهها
 لوجه ، في الخنادق أو خلف المتاريس ، أو في خط النار،
 قد يضعف أهمية رد الفعل الثوري الذي يتطلع إليه النتائج
 الأدبي . . لذا فقد يُختزن الأديب ، أو يسجل ، هذه
 التجربة العملية ليُعبر عنها بعدئذ كما حدث فسي رواية
 سارتر الثلاثية ((دروب الحرية)) . . أو يعبر عنها فسي
 محاولته استعادة موقعه السابق إبان النضال ضد الوضع
 الإرهابي والاحتلال القائم . . كما كان حال الشاعر
 الفلسطيني توفيق زياد (٥) :

« لاني لا احوك الصوف (٦)
 لاني كل يوم عرضة لاوامر التوقيف
 وبيتي عرضة لزيارة البوليس
 للتفتيش « للتنظيف »
 لاني عاجز ان اشترى ورقا
 سأحفر كل ما القى
 واحفر كل اسراري
 على زيتونة
 في ساحة الدار . .
 سأحفر قصتي وفصول مأساتي
 وآهاتي
 على يبارتي ، وقبور امواتي
 واحفر كل مر ذقته
 بمحوه عشر حلوة الآتي »

ومع ان الشاعر هنا جسد ، بصور مكثفة الواقع
 الإرهابي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني فسي الارض
 المحتلة ، يمكننا تميم هذه التجربة التي تحمل اشراقها

- التتمة على الصفحة - ٧٨ -

والحركات الفنية حين تنخرط كلها في الصفوف المناضلة
من اجل المعركة تحت شعار « كل شيء إلى الجبهة » . .
 وطبيعي انه يجب التمييز ، والحذر جيداً ، فلا يعني
 الاندماج في الحركات الفنية ، التعامل والتواطؤ مع الفكر
 اليميني ، بحجة العطف أو التعاطف مع المسألة الفلسطينية
 فالمعركة ، في وجدان الأديب ، يجب ان تتمثل كل الأبعاد
 والأطر الإنسانية وتهضمها وتزيل كل الحواجز والعقبات
 المصطنعة عن درب انسانية الأدب وثوريتها . . فلقد
 ينخرط حتى الرومانسيون في المعارك الوطنية . . حين
 تتحول المعركة من موقف رومانسي ، إلى وجود فعال . .
 خاصة ، واننا لسنا في نزهة داخل اعماقنا . .

لقد كان **بايرون** ، يموت بحمي المستنقعات وهو
 يقاتل من اجل حرية اليونان ، بينما كان **ستاندال** يؤيد
 حركة التحرر الوطني في إيطاليا ، وكان **بوشكين** يؤيد
 حركة الديسمبريين في روسيا . . ومع ان اليوم غير
 الامس ، والمعركة ليست بعدا رومانسيا يفنيه بوشكين
 أو بايرون أو شيللي . . فاننا امام واقع دموي ، وامام
 اعصار فاشي جديد . . وامام هذا الواقع ليكن غناؤنا
 نقياً ، حاراً ، عارماً ، وصافياً . . ولكن قويا وحاداً كصوت
 ماياكوفسكي . . ان الأدب قد يتخلف صوته في المعركة
 العسكرية . . وقد يتضائل ((فعله)) حين تكون حياة
 الأديب ، لا ادبه ، هي ((الفعل)) الذي يحقق انجازته ،
 ويحقق وجوده . . من خلال المعركة . . ومن ثم فان
 الطبيعة النفسية - الثورية - لجماهيرنا ، تصل ،
 يمشاعرها ، درجة الاتقاد والالتحام الوجداني الكامل
 بالمعركة ، وهي على هذا الاساس ، قد لا تحتاج (بطبيعتها
 المتأهبة والمتفاعلة) إلى اية عوامل اثارة وتحريك خارجيين
 يخلقهما الأدب من خلال وجوده . . فالحافز الثوري
 يتحول من ((حافز)) ((كامن)) إلى ((دافع)) إلى ((فعل))
 ((ديناميكي)) يكتسب زخمه الثوري ، ليتساقط مع مد
 المعركة . . وكثيراً ما كان الحافز الثوري التابع من مهمة
 ضيافة النصير المهدد بالخطر ، يتخطى ابعاد الخلافات
 العقائدية ويلتحم بقضية مصيرية الانسان ووجوده
 الحضاري . . كما حدث فسي حرب المقاومة الفرنسية
 - مثلاً - .

لذا فالأديب قد يقدمون حياتهم ثمناً لمثلهم العليا
 ومعتقدهم . . ك**فارسيلا لوركا** وزميليه **انطونيو ماخادو**
 و**ميخائيل هرننديز** الذين قدموا حياتهم قصائد استيسال
 في الحرب الأهلية الإسبانية وكما يقول الشاعر البلغاري
 الشهيد **انطون بوبوف** (٤) :

« ولكن ان نموت عندما تتعري الارض
 من ثمرها المسموم . .
 عندما يبعث الملايين
 فنعم هذه القصيدة
 هذه هي القصيدة الكاملة »

فأمام هذا الواقع المعركي ، والاستشهاد البطولي ،

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شبيب

ادبنا والمسألة الفلسطينية

- تنمة المنشور على الصفحة ٢٢ -

الثوري وتفاؤلها النضالي بحيث تصبح تجربة كل الذين يعانون العسف في وطنهم .. وكما هم كثر في بلداننا العربية! الى جانب هذا .. **فلسطين وجه آخر** .. اذ قد تصاب عملية الابداع الفني بشلل وقتي تخلقه حدة ودموية المواجهة الفعالة في الحرب وتضعفه طبيعة الاسهام العملي للاديب كجندي في المعركة .

اما ادباء خط النار ((الداخلي)) ، فتبرز امامهم مهمة البعد الداخلي .. وهي مهمة لا تقل نضالية من حمل السلاح .. انها مهمة سد كل المنافذ امام تغفل العدو من الداخل ، وخلق تحركات طابوره الخامس .. والاديب ، هنا ، يتحول الى منبر ، وداعية ، وموضح بأساليب النضال الجماهيرية العديدة ليتسم تسليح الجماهير باليقظة الثورية ، والحذر ، .. والاحتفاظ بزخمهم المعركي ، واستمراريتهم لكسي يكونوا دوما بمستوى الواجب .

انها مهمتهم لتحويل الافكار الثورية الى ترسانة قوية لا تخترقها سهام الاشاعات والاضاليل المفرضة ولا تذيبها سيول الحرب النفسية .. وذلك بتكريس كل جهودهم لخلق حاجز فكري منيع يقف ضد كل المحاولات الهجومية ...

فالاديب ، هنا ، يؤدي دوره ، من خلال حرب المقاومة .. الفكرية ، والعسكرية .. على السواء .. ومع ان القضية ، لم تعد قضية شعر .. كما يقول فابتراروف - الشاعر البلغاري الشهير - فحين « تأخذ الكتابة .. وهكذا .. بدلا من القافية تنفجر قنبلة .. وتتألق السماء بالصواريخ النارية .. وتلف الحرائق المدينة .. وتلاحظ عند ذلك برعب .. انك لا بالحبر .. وانما بالدم تكتب .. »

ولكن الشعر ، يستطيع ان يقدم فاعليته مسهما بدوره المشرف في المعركة .. فقصاصد **اراغون وايلوار** وغيرهما قد هبت الشعب الفرنسي .. ولكن الشعر ، لم يعد وحده ، مسهما في المعركة ، فقد اسهمت الوان الادب الاخرى ، كالروايات القصيرة مثال قصة « **صمت البحر** » للرسام « **فيركور** » .. التي حاربت ضد المحتلين الالمان النازيين .. كاي سلاح اخر .. في باريس .. وحتى سيرة الحياة لعبت دورا هاما في حرب المقاومة ككتاب الصحفي الجيكي الثائر : « **يوليبوس فوجيك** » المعنون : « **تحت اعواد المشانق** » والذي بعثه من زنزانته ليكون دفعا ثوريا يضاف الى استشهاد البطولي .. ثم ان كتبا وثائقية اسهمت بدورها لكسب الرأي العام العالمي « **كغارنا** »

في الجزائر) و « **محاكمات جميلة بوحيرد** » والروايات الجزائرية التي ادانت الاستعمار الفرنسي وحركت كل الناس الخيرين ضده ..

ثم ان زوجة **غليزوس** بطل المقاومة اليوناني ، عبرت بقصاصدها عن اروع صور نضال الشعب اليوناني ، فأصبحت قصائدها بيانات احتجاج ومطالبة باطلاق سراح زوجها ورفاقه العديدين فكسبت رأيا عاما عالميا بهذا المجهود الى جانب قصائد الشاعر اليوناني المناضل « **مناوس الاودس** » التي بعثها من معتقل « **ماكرونيزوس** » الرهيب الى كل احرار العالم ..

وان قصائد **واناشيد ناظم حكمت** ، تحولت الى منظم جماعي من خلال تسربها من زنزانته الى الشعب التركي والرأي العام العالمي ..

وقصاصد **بابلو نيرودا** ، التي كان يلقيها مباشرة على الكادحين ، في **شيبالي** ، كانت رسولا نضاليا لجميع .. وقصاصد الشاعر **الدانماركي « اوتو غلستند »** التي دفعت حرب المقاومة ضد جحافل الجيوش الهتلرية ، الى امام .. وفي انكلترا وقف « **اودن** » يسهم في خلق جيل الغضب ضد كل انواع العسف .. **وهواردفاست وريتشارد رايت** ومن قبلهما **جاك لندن** .. في امريكا .. وغيرهم .. غيرهم العديد .. اسهمت اثارهم الادبية وقصاصدهم - بشكل خاص - في التحريك والاثارة والتعبئة والتضامن الاممي .. فكان لها فعل الثورة .. وفي ارضنا العربية لا يمكن ان ننسى شعراء كمعين بسيسو وفدوى طوقان وادباء كفسان كنفاني وسميرة عزام .. وغيرهم العديد الذين اسهموا بفاعلية اكثر من غيرهم في خدمة المسألة الفلسطينية ..

ان الموت لا يدرك الاثار الادبية الجليلة التي تحيل الكلمات الى بنادق وتزرع الحروف رصاصا في صدر العدو ..

ان النكبة لا تخلق الانتصار وحدها .. بل ان تخطي النكبة بشد كامل لذاتية الادب الثوري ، وتتفاعل تام مع جماعية المعركة .. في خط نضالي ، سديد .. يعمق المسألة الفلسطينية ويخلق مرتكزاتها الثورية في البلدان العربية ، من خلال التحامها بحركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وتضامنها الكفاحي مع المعسكر الاشتراكي ، يعطي للمسألة الفلسطينية بعدا عالميا يحقق وجودها الفعلي بين القضايا الانسانية الكبيرة كقضية فيتنام ..

وكما خلقت مأساة القنبلة الذرية التي القيت على هيروشيما وناغازاكي ، رادعها الفكري على الصعيد العالمي ، وحصنت اذهان كل الخيرين في العالم بمصل كفاحي دائم ضد الحرب والاسلحة الذرية نريد من مأساة فلسطين ، ان تخلق رادعها الفكري لكسر المحاولات

تنمة ((الرأس والنهر))

- المنشورة على الصفحة ١٢ -

وجنس أغنياتي .

لي لفة

لا تعرف التخوم لا تحدها الشيطان

تحدها علامتان : الشمس والانسان .

وها أنا أطوف كي أزلزل الحدود ،

كي أعلم الطوفان .

الجوقة (غير منظورة) :

نقرأ في الطوفان

كتابة

عن وطن ينحت مثل ورق

يتعب كالرغيف تحت فك

يشرد مثل كوكب ...

اصوات (ساخرة ، بعيدة ، غير منظورة،

مقاطعة) :

وطن :

سلة صبير حمراء

منخل ماء .

وطن يفتح كالذكان

وطن يقفل كالذكان

وطن الجثة والغربان .

وطن :

صوت يمشي

يتقوس مثل الظهر .

وطن :

دهر يسكن تحت الدهر ...

الجوقة (بايقاع سريع) :

نقرأ في الطوفان

كتابة

عن وطن تجوس في عروقه

الساعات كالذئاب :

تنهش كل زهرة

وتنهش الاطفال والحجار والتراب ،

عن وطن يولد

مثل لؤلؤ المحار

مثل الفتك والعذاب ،

نقرأ في الطوفان

كتابة ،

عن وطن

يسكن مثل شهقة

في رئة الانسان .

الرأس والجوقة معا :

نبئت زهرة على الضفة الاخرى

بموتي ،

صرت المدى والمدارا

أبديا أمضي الى النبع أو أقبل منه ،

أكون كالرعد

صوتا حاضنا برقه ، وكالبرق نارا،

ولي الضوء والمسافات يا شمس

وبيتي كبريتك المكنون

ولي الليل والنهار

وفلك

بمرايا وجهيهما مشحون .

غائب حاضر كيمالك يا بهر

حويت الاسماء والاشياء

فاحتضني واستنفر الرعد في صوتي

وهجس التكوين ،

والانواء

واجر يا نهر فطرة

وكن النشأة ،

كن أبجدية عذراء ...

(صمت . اسراب طيور فوق الجسر .

فيما يغيب الرأس يسمع صوته يتهدد شيئا

فشيئا)

الرأس والجوقة معا (بايقاع هادي) :

لي لفة

لا تعرف التخوم لا تحدها الشيطان

تحدها علامتان : الشمس والانسان

وها أنا أطوف كي أزلزل الحدود ،

كي أعلم الطوفان

(موسيقى غضب وفرح .)

ادونيس

١ - ادب المقاومة في الارض المحتلة - غسان كنفاني - دار الاداب

ص ٤٧

٢ - نفس المصدر .. ص ٨١

٣ - نفس المصدر ..

٤ - انطون بويوف : شاعر بلغاري اعدم مع زميله الشاعر الشهيد

فابتراروف اللذين نلي عليهما حكم الاعدام في الساعة الواحدة بعد ظهر

٢٢ تموز ١٩٤٢ .. واعدا .. محاربتيهما ومقاومتهما الباسلة ضد الحكم

العميل (حكم الملك بورمي) الذي افر انفاقه مع المانيا واطاليا في

عام ١٩٤١

« وفي مسمع فابتراروف لا تزال كلمات الفتاة التي اثبتت

شجاعته وهي تزوج بويوف وهو على عتبات الموت ، والتي غنت له

بعدوبة خفيفة ابياته العزينة الواثقة كي تبعث في نفسه الشجاعة »

(فابتراروف شاعر بلغاريا الشهيد - احمد سليمان الاحمد - منشورات

مكتبة المعارف بيروت) .

٥ - توفيق زياد : شاعر فلسطيني من (الناصرة) والمقطع من

قصيدة بعنوان (١ - على جذع زيتونة)

٦ - وحياتة الصوف : اشارة الى مدام لافيارج التي كانت تحوّد

بالصوف اسماء اعداء الشعب الفرنسي عام ١٧٨٩ لتقتص منهم الثورة

بعد انتصارها .. وتوفيق زياد اسهم مع محمود درويش من (البروة)

وسميح القاسم من (الرامة) وسالم جبران ونابف سليم وحليم بركات

وغيرهم من تسجيل روح المقاومة في قصائدهم وتاليفهم التسي تعتبر

بحق وناق نضالية جليّة .

محمد الجزائري

بفداد